الجهاد البحري

ضد الغـ

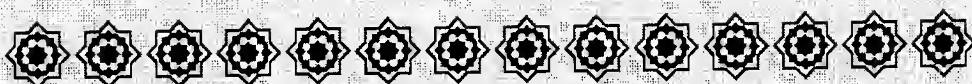
بقلم :

د. علي أباحسين / البحرين

٣٠. الوثيقة

العربي الإسلامي

ـزاة البرتغاليين



لقد فرض الله تعالى الجهاد على المسلمين (فرض كفاية) إذا قام فيه من فيه الكفاية سقط عن الباقين ولكنه (فرض عين) ضد الغاصبين من الكفار الذين يبطشون بالمسلمين ويمنعون الحجاج من أداء فريضتهم ويقتلونهم ويحرقون سفنهم[1].

لقد جاهد المشرق والمغرب العربي عبر التاريخ في البر والبحر ضد الأجانب حيث تعرض للبرتغاليين والأسبان والفرنسيين كما تعرض المشرق للبرتغاليين والإنجليز بحكم الموقع الجغرافي لديار المسلمين في المشرق والمغرب وقد ورد في خطاب سامٍ لجلالة الملك الحسن الثاني قوله : "إن موقع المغرب الجغرافي وتاريخه الحافل يجعله مطوقاً بمسئوليات وأمان جسام : ▪ أنه يقع في ملتقى البحرين فعليه إذن أن

يفكر في السياسة الأطلسية وسياسة البحر المتوسط ■ إن المغرب جاء قريباً من أوروبا فعليه أن يفكر في سياسته بالنسبة للقارة الأفريقية ■ وأن المغرب بلد عربي فعليه أن يفكر في سياسته تجاه العرب ■ وأخيراً أن المغرب دولة إسلامية وعليه أن يفكر في سياسته تجاه الدول الإسلامية"(٢) .

وبحثنا حول (**الجهاد ضد الغزاة البرتغاليين**) وقد اشترك فيه سكان الخليج العربي والبحر الأحمر والمغرب العربي وكذا المماليك والعثمانيون ومسلمو الهند، وسوف نلقي الضوء على أهم سبب لمجيء البرتغاليين للمشرق والمغرب العربي بصورة خاصة ألا وهو (السبب الديني) لنشر الكاثوليكية ومحاربة الإسلام والمسلمين في كل مكان ونرانا نعتمد على (مصادر برتغالية وهندية وأوروبية) ومنها :

■ ما أورده الشيخ (**أحمد زين الدين المعبري المليباري**) في كتابه (تحفة المجاهدين) وقد عاصر أحداث الغزو البرتغالي وما رافقه من مآس ضد المسلمين وكتب عنها كعالم وفقيه ومؤلف كتب في الفتاوى والتصوف والفقه ثم دوّن تاريخ فترة عاصرها بجرأة كاتب استعرض مواقف الغزاة البرتغاليين الذين أذاقوا المسلمين الويلات والمصائب وأجبروهم أحياناً على اعتناق النصرانية فهو شاهد عيان عاصر ظلم البرتغاليين واستخفافهم بمقدسات مسلمي (مليبار) وضربهم ونهب أموالهم وإحراق مراكبهم ومساجدهم ومصاحفهم وتعطيل أسفارهم، خصوصاً سفر الحجاج(٣) . وتحريضهم على قبول قول الردة والسجود لصليبهم وتزيين نسوانهم بالحلي والثياب النفيسة لتفتن نسوان المسلمين وقتل الحجاج وسوم المسلمين العذاب وسب رسول الله ﷺ جهاراً وتقييد الأسارى بالقيود الثقيلة وترديدهم بالسوق لبيعهم كما يباع العبيد وتعذيبهم حينئذ بشتى أنواع العذاب وجمعهم في بيت مظلم منتن مخطر وضربهم بالنعل إذا استنجوا بالماء وتعذيبهم بالنار والأعمال الشاقة بلا شفقة وسبي النساء

الأصيلات والتسري بهن حتى حصل لهم منهن أولاد نصارى لكي يؤذون المسلمين وتعذيب وقتل العلماء . والخلاصة فإن بغيتهم تغيير دين المسلمين وإدخالهم في النصرانية . وختم المعبري، وهو يصف الحوادث وصْفَ شاهد عيان، بالآية الكريمة : ﴿يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون﴾[٤] .

■ **وقطب الدين محمد بن أحمد النهروالي** كتب كتابه الموسوم (البرق اليماني) وهو معاصر للغزاة البرتغاليين عاش من (٩١٣ - ٩٩٠هـ /١٥٠٧ - ١٥٥٢م) قال : وقع في أول القرن العاشر الهجري من الحوادث الفواجع دخول البرتغال اللعين من طائفة الفرنج الملاعين إلى ديار الهند وإفناء السلاطين العرب في شرق أفريقيا وفي الهند وأندونيسيا ووضعت هذه السنون لبنَة الاستعباد الاستعماري لشعوب جنوب آسيا .

■ وجاء **(ألفونسو دي البوكيرك)** البرتغالي لينشئ دولة بحرية برتغالية في المحيط الهندي وفي الشاطئ الغربي للهند وأصبحت (جوا) مستعمرة برتغالية ١٥٠٧م وأخذ يحتجز الحجاج المسلمين فلا يطلق سراحهم إلا بفدية ويسبي النساء ويبيع الرجال كالعبيد ثم يحرق السفن وإن لم يستطع يحرق السفن بمن فيها[٥] . وكان هم (البوكيرك) هو القتل وتدمير المسلمين عامة والعرب خاصة بروح وحشية وقد كتب لمليكه بعد أن احتل (كوا) : أنه وضع السيف على رقبة كل عربي حيثما أمكنه العثور عليه . وقد ملأ بهم المساجد وأُضرِمَت بهم النار[٦] ومات (ألفونسو دي البوكيرك) في ١٥ ديسمبر ١٥١٥م وبموته انتهت حياة أسوأ مستعمر شرس عدو الإسلام وقد خطب أمام جنوده يحثهم على احتلال (ملقا) بقوله : إن الخدمة الجليلة التي سنقدمها للعرب بطردنا العرب من هذه البلاد وبإطفائنا شعلة شيعة محمد بحيث لا يندلع لها هنا بعد ذلك لهب، ثم قال : لو انتزعنا تجارة ملقا هذه من أيدي المسلمين لأصبحت كل من القاهرة ومكة أثراً بعد عين[٧] وحاول خلفاء البوكيرك إنشاء علاقات دبلوماسية مع الحبشة للقضاء على المسلمين في مياه البحر الأحمر والوصول إلى الأماكن المقدسة في الحجاز إلا أن ظهور العثمانيين في عهد (سليمان القانوني) وبالتعاون مع (المماليك)

وخشية الأحباش الأرثوذكس من أهداف البرتغاليين الكاثوليك وبمساعدة (السامري) ملك مليبار في الهند أدى إلى اندحار البرتغاليين في البحر الأحمر. وأخيراً جاء في مقدمة كتاب (تعليقات البوكيرك دي فونسو) قوله: لقد كانت سياسة (البوكيرك) مبنية على تدمير كل مدينة وقلعة ودولة بعد الأخرى وإقامة محطات ومكاتب محصنة محلها وأهمل توطيد دعائم سلطته في المناطق الداخلية مما جعل هذه المحطات والمكاتب عرضة للمقاومة في وقت لاحق. وكان مصمماً على تحويل مجرى نهر النيل إلى البحر الأحمر كي يجعل مصر مجدبة. وأن ينقل عظام (مافوما) المكروه لنفسه وأن يحرقها علناً كي يذهل ويربك أتباعه فيكسب لنفسه شهرة أبدية. ولما قَدِم نحو هرمز ودار القتال مع المسلمين من الساعة السابعة صباحاً حتى الثالثة عصراً قُتِل فيه عدد لا يحصى من المسلمين طارد البوكيرك من فر منهم وقتلهم جميعاً وأحرق قواربهم وقصف الساحل ورمى الناس بالحجارة والسهام[(٨)].

■ ومصدر فارسي بعنوان (**بيدايش وسقوط امبراطوري مستعمراتي برتقال درهند**) لمؤلفه (**أحمد فندرسكي**) كتبه باللغة الفارسية وأسهب في وصف مهاجمة البرتغاليين للمدن وتدميرها ووضع البوكيرك السيف على رقبة كل عربي ما أمكنه العثور عليه في أي مكان[(٩)].

■ و (**لادوار يهانسك**) (١٨١٩ - ١٨٩١م) نبذة تاريخية عن الهند البرتغالية وهو مستشرق مجري الأصل كان أستاذاً في كلية ويلسون في بومباي وسكن الهند منذ ١٨٤٧م حتى وفاته ذكر عن الروح الصليبية للبرتغاليين وقتلهم للمسلمين وإحراق مساجدهم وإضرامَ النار فيها.

■ أما المستشرق البرتغالي (**دافيد لويس**) الذي عاش من ١٨٦٧ - ١٩٤٢م فكان مهتماً بأمر الغزو البرتغالي للهند ونشر كتاب (تحفة المجاهدين). . . وترجمه إلى الأسبانية وطبعه في لشبونة المستشرق الإنجليزي (رولند سون) في مطبعة ليدن بهولنده عام ١٨٣٣م هذا الكتاب عاصر مؤلفه أحداث البرتغاليين في البحر الهندي وديار الهند، وشاهد ما فعلوه من كوارث ضد المسلمين[(١٠)].

واستعان البرتغاليون بالجواسيس من تجار اليهود البرتغاليين فجمعوا لهم المعلومات عن بحار العرب والخرائط والمرشدات البحرية وجاءوا عبر مصر وامتطوا سفناً عربية نحو باب المندب فمضيق هرمز والهند وكان اليهود يتكلمون العربية مما سهل عليهم الوصول إلى أهدافهم ليقدموا للبرتغاليين المعارف التي يجهلونها عن الشرق العربي ولقد حدث ذلك قبيل الاستكشافات البرتغالية ببضع سنين فاندفع (فاسكو دا جاما) في عام ١٤٩٨م/٩٠٤هـ يدفعه حرصه على نشر النصرانية في الأراضي الإسلامية وكان فرسان (يوحنا) وهم البرتغاليون يسيطرون على جزيرة رودس ويشنون منها الهجمات المتوالية على الموانئ الإسلامية واستمرت القرصنة على السفن العربية وكانوا يعدون ذلك ضرباً من الجهاد الديني وإن كان للبرتغاليين أهداف أخرى، وكان الهدف الصليبي هو القضاء على الوجود الإسلامي اقتصادياً وسياسياً ودينياً بدافع الروح الصليبية التي أدت إلى سقوط غرناطة وقرطبة وسائر مدن الأندلس . وبارك البابا تلك الأهداف لنشر النصرانية وكان من نتائج ذلك تأسيس امبراطورية برتغالية استعمارية قامت بأفظع الوسائل ضد المسلمين في الخليج العربي والبحر الأحمر وقطعت طرق التجارة العربية عنها وحولتها نحو رأس الرجاء الصالح إلى أوروبا الغربية فعاش العرب ردحاً من الزمن في تدهور اقتصادي وتأخر اجتماعي وثقافي بينما بدأت تباشير عصر النهضة الأوروبية في البزوغ فزادت الثروة وعم الرخاء الاقتصادي في أوروبا عامة والبرتغال بصورة خاصة التي حملت مشعل (التنصير) في كل رقعة وصلت إليها سفنهم .

وبعد أن رست سفن (فاسكو دا جاما) في عام ١٤٩٨م/٩٠٤هـ في مياه كاليكوت ورغم أن ملك (مليبار) أحسن وفادته وحمله رسالة ودية إلى مليكه في البرتغال إلا أن جوابه هو مطالبته بمستعمرة لتجارته في الهند ونشر دينه . وثبّت البرتغاليون أقدامهم في (كاليكوت) ١٤٩٩م[١١] .

وعاد إلى (المليبار) ثانية في ١٥٠٢م ووصل إلى (كاليكوت) وأطلق عليها القنابل وبطش بأهلها ثم سار من كاليكوت إلى كوشين[١٢]، ثم إلى بندر (كشي) وبنوا فيه قلعة وهي أول قلعة بنوها في الهند وهدموا مسجداً كان على

ساحل البحر وحولوه إلى بيعة، وحدثت معركة بحرية بين المسلمين والبرتغاليين في كشي استشهد فيها كثير من المسلمين وحاول (السامري) ومن معه من أهل البلاد الآخرين منع البرتغاليين من دخول ميناء (كشي) فلم يُصَب المسلمون بشيء حتى ضعُف السامري لطول محاربته لهم وراسل سلاطين المسلمين وقتئذ طلباً للإعانة فلم ينفعوا إلا السلطان (محمود شاه) والد (مظفر شاه وعادل شاه) فهيأوا السفن والغربان ولكنهم لم يُوفَّقوا . أما سلطان مصر (قانصوه الغوري) فقد أرسل الأمير (حسين الخادم) مع بعض العساكر في ثلاث عشرة غراباً (سفينة) ومعه ملك أياس نائب (ديو) بغربانه فلقي بعض مراكب الفرنج فكان النصر للمسلمين عام ١٥٠٨م وغنم غراباً كبيراً للفرنج ورجع بما معه من الغربان إلى (ديو) ففاجأه الفرنج في نحو عشرين مركباً ولم يكن قد استعد لهم ولا المليباريون وكانوا يلاحقون غربان الأمير حسين بصورة خاصة فأخذوا بعض غربانه وطاح البواقي وعاد البرتغاليون منتصرين إلى كشي بينما رجع الأمير (حسين) إلى مصر فأخذت الغوري الغيرة فأرسل نحو اثنين وعشرين غراباً كبيراً وجعل عليها أميراً هو (سلمان الرومي)مع الأمير (حسين) فوصلا بالغربان إلى جدة ثم قمران بينما اتجه سلمان إلى بندر عدن ثم رجع إلى جدة فالتحم بحرب مع الأمير (حسين) وقتل (الغوري) على يد الشريف (بركات) ووقعت مملكته في قبضة السلطان (سليم شاه) .

وفي يوم الخميس الثاني والعشرين من شهر رمضان سنة خمس عشرة وتسعمائة هجرية الموافق للخامس من يناير ١٥١٠م نزل البرتغاليون في (كاليكوت) محاربين وأحرقوا المسجد الجامع الذي عمره النوخوذا (مثقال) ودخلوا بيت (السامري) الذي كان خارج البلاد وأحرقوه ودافع أهل البلاد وقتلوا كثيراً من الفرنج وغرق من غرق منهم وعاد الباقون خائبين . إلا أنهم قد نزلوا في (فنان) وأحرقوا نحو خمسين من المراكب في ساحلها واستشهد نحو سبعين رجلاً كما نزلوا (عدن) إلا أنهم انخذلوا، وولوا مهزومين وكان ذلك في أيام الأمير (مرجان) وصالحوا حاكم (كولم) وبنوا فيها قلعة[١٣] .

■ وكتب المؤلف الهندي (أرون بتاشارجي) في كتابه (تاريخ الهند) أن البرتغاليين حيث اتجهوا للاستكشافات

لم يكن هدفهم التجارة بل مارسوا القرصنة وتدخلوا في سياسة الشعوب ودبروا المؤامرات ضد الدول حين وجدوا أن إمبراطورية المغول في الهند أقوى منهم فتظاهروا بصداقتهم للإمبراطور (أكبر) وأبرم (كابرال) السفير البرتغالي اتفاقاً معه أكد بموجب الاتفاق الأمان للحجاج المسلمين وهم في طريقهم إلى مكة المكرمة، لكن البرتغاليين لم يكونوا صادقين في عهدهم فقد تآمروا مع حاكم (أسير كره) ضد الإمبراطور (أكبر) بينما تظاهروا بالصداقة مع المغول، كما حاولوا أن يرتد الإمبراطور (أكبر) عن إسلامه ويعتنق النصرانية في عام ١٥٨٠م ولكنهم فشلوا(١٤) .

وأكد كثير من الكتاب أن هدف البرتغاليين عدا الحصول على طريق الهند وتوابلها هو التوسع بروح صليبية وإحراق سفن المسلمين في كل البحار التي أبحروا فيها وأسسوا الأديرة والكنائس وتحقيقاً لأهدافهم الصليبية فقد اتجهوا لاحتلال الأماكن المقدسة للمسلمين(١٥) .

ومضت (الدولة العثمانية) في تحطيم قوة البرتغاليين في البحار الشرقية فأرسلت أسطولها إلى مسقط وحاصرت هرمز واتصلت بعمان والبحرين والإحساء ولكنها فشلت في إزالة الوجود البرتغالي في شرقي الجزيرة العربية حتى تخلت بعد عام ١٥٥٤م عن سياستها في محاربتهم في المحيط الهندي والخليج العربي واتجهت نحو البحر الأحمر وأصدرت مرسوماً يحرم على السفن غير الإسلامية الإبحار فيه .

وجدير بالذكر فإن العثمانيين لم يظهر لهم كيان سياسي وعسكري في الخليج العربي والبحر الأحمر حتى عام ١٥١٧م حيث انتصر السلطان (سليم الأول) على الشاه (إسماعيل الصفوي) كما هزم السلطان (الغوري) في مصر ودخل القاهرة ١٥١٧م ثم دخل الحجاز سلماً وكان البرتغاليون قد تمكنوا وقتئذ من دخول هرمز بوابة الخليج العربي وتفوقوا على العثمانيين بسلاحهم البحري وبدأ التصدي للبرتغاليين في اليمن واستولوا عليها في عهد السلطان (سليمان القانوني) ١٥٣٨م وأغلقوا البحر الأحمر في وجه البرتغاليين(١٦) .

وحدثت معركة (وادي المخازن) تلك التي خطط لها البرتغاليون لاحتلال المغرب بمساعدة (محمد المتوكل) الذي استنجد بهم وقد اشتركت مع القوات

المغربية قوات عثمانية وفي يوم الاثنين الثلاثين من جمادى الأولى عام ٩٨٦هـ الموافق للرابع من أغسطس ١٥٧٨م كان اندحار البرتغاليين ومقتل ملكهم (دون سبستيان) كما قتل (محمد المتوكل) الذي استنجد به وفتحت هذه المعركة باب التعاون بين المغاربة والعثمانيين . وفي عهد السلطان مراد الثالث طلب عقد حلف عسكري ضد الأسبان وذلك في رجب ١٨/سبتمبر١٥٨٠م[١٧] . كما فتح باب التعاون بين سكان الخليج العربي والمغاربة فانتصر إمام مسقط على البرتغاليين وقال الشاعر عبد العزيز القشتالي يصف الواقعة التي جرت ٩٦١هـ/١٥٥٣م في منطقة الخليج ويهنئ العاهل المغربي أحمد المنصور الذهبي مشيراً إلى الربط بين مصير الجهتين :

فكم هنأت أرض العراق بك العلا

ووافت بك البشرى لأرض عمان[١٨]

■ وذكر (**جهانكير قائمقامي**) وهو مؤرخ فارسي أن ألفونسو البوكيرك كتب في ١٥٠٧م إلى الشاه إسماعيل الصفوي إذا أراد الشاه غزو مكة فإنني - والقول لألبوكيرك - أدخل إلى البحر الأحمر وأهاجم (جدة) وإذا أراد أن يدخل الجزيرة العربية سأقود الأسطول الملكي بنفسي وأغزو (عدن) وساحل الجزيرة العربية والبحرين والقطيف والبصرة وأخبرك بأنني سألاقيك في الخليج في محل ما وأساعدك في قتال أعدائك وإذا أردت أن تأتي إلى (كجرات) التي يملكها حاكم (كامباي) سأهاجم موانيها لأن جميع قواته مركزه فيها وبذا يحكم الشيخ إسماعيل الصفوي البلاد بسرعة وما على الشاه إلا أن يرسل سفيراً له إلى بلاط ملك البرتغال مطالباً إياه الصداقة والمساعدة في قتال أعدائه . هكذا تفتقر السياسة البرتغالية إلى النضج والتأمل والمبادئ الإنسانية كما كان تنفيذ خططهم سيئاً إذ كانوا ظالمين ومتكبرين وكانت تصرفاتهم حتى التجارية سيئة للغاية[١٩] .

وذكر أن بعض رسل أمام مسقط أرسلهم إلى جميع أقطار الخليج العربي من عمان حتى البصرة ليوضحوا لحكام هذه الأقطار أن الحياة لا يكون لها معنى إلا بطرد الأجنبي المستعمر (البرتغالي وقتئذ) . وقد جاءت إلى الكويت (القرين) هذه الرسل لنشر هذه المهمة وقال أن أحد الرسل أبحر إلى

القرين وهو اسم من أسماء الكويت (ليبلغ أهلها عن التخطيط في مقاطعة سفن البرتغال) ومن يقف على هذا الفصل يتبين له مسيس الحاجة إلى جميع الكتب التي تتحدث عن كيفية إجلاء البرتغاليين عن الخليج العربي .

فإنك تجد في هذا الفصل حواراً يجريه المؤلف بين شخوص أعتقد أنها لم تكن من خيال المؤلف وإنما هي أسماء حقيقية إذ أنهم هم الذين قادوا طليعة الأسطول العربي التي حاربت السفن البرتغالية ، وهي خمس سفن صنعت في الهند ودرب بحارتها على القتال البحري ويستشف من هذا الحوار أن هذه السفن قد أُطلق على إحداها اسم (الجلندي بن المستكبر) أحد أئمة عمان لأنه أنقذ سقطره من عدوان الروم ، وسميت السفينة الثانية جلفار (رأس الخيمة) لتذكير الناس بإحراق البرتغاليين لها ، وسميت الثالثة (الرستاق) إحدى مدن عمان ، والرابعة (شاهين) تذكيراً بتلك السفينة الرائدة في التحذير من خطر البرتغال ، وأطلق على السفينة الخامسة اسم (مصر) لما كان للمصريين من مساهمة في طرد الأجنبي .

على أننا نجد في هذا الفصل أموراً تاريخية هامة تستدعي تحقيقاً دقيقاً من المهتمين بتاريخ هذه المنطقة ، وأهم هذه الأمور قول المؤلف : أن أحد رسل الإمام العماني (ناصر بن مرشد) استطاع أن يجمع مبالغ وفيرة ، بلغت خمسمائة ألف محمدية من قرين والبحرين وقطر وجلفار ودبي وليوا لتمويل الثورة ، وقوله ص٨٤ : إن الرسول استطاع أن يحصل على أربع سفن ، إحداها كانت من القرين ، وإذا ما رجعنا إلى ما قاله المؤرخون عن لفظة القرين أنها اسم جزيرة صغيرة تقع في الشويخ ، أحد موانئ الكويت ، فكيف أن جزيرة صغيرة كل ما لها من أهمية أن السفن ترسو عندها تتمكن من المساهمة بمبالغ مالية ، وسفينة كبيرة لها أهميتها .

هذه قصة تاريخية تعني بأن القرين مدينة يسكنها جمع غفير من الناس بخلاف ما يقوله عنها المؤرخون ، والفترة التي يتحدث عنها المرحوم الأستاذ عبد الله الطائي مؤلف هذه القصة تقع في سنة ١٠٥٠هـ (الموافقة لسنة ١٦٤١م) كما أورد المؤلف اتفاقية برتغالية عمانية مجملها أن البرتغاليين

يؤدون الجزية لإمام عمان ويسلمون له المراكز الرئيسية ماعدا القلعة الرئيسية وقد وقَّع البرتغاليون هذه الاتفاقية ليحصلوا على وقت كافٍ ريثما يأتيهم المدد من البرتغال[٢٠] .

■ وورد عن (**إيجرتون**) وهو قريب عهد للبرتغاليين قوله : لما قاتل حاكم البحرين (مقرن بن أجود بن زامل الجبري) البرتغاليين في ١٥٢١م وجرح بسهم توفى على أثر ذلك خلال ثلاثة أيام فما كان من البرتغاليين إلا أن قطعوا رأسه وأرسلوه إلى (جوا) هدية إلى الحاكم العام البرتغالي (ديوجو لوبيز سكويرا) ووقع القائد البرتغالي الذي دخل البحرين اسمه فيما بعد(أنطونيو كوريا باريم) أي أنطونيو كوريا البحريني . وأخذ البرتغاليون يغرقون السفن العربية التي تبحر بدون أن تدفع الرسوم ويدفع التاجر أيضاً مبلغاً مقابل ما يصطاده من المحار والصدف[٢١] .

■ وذكر (**الدكتور صالح أوزبران**) التركي أن (لويس منزيس) أخو والي الهند البرتغالي قام في عام ١٥٣٤م بالإغارة على خمس سفن للمسلمين وأحرق أربعاً منها ونهب مدينة سمر وقبض على من يراه من تجار المسلمين في البحر الأحمر لكن القوة العثمانية المتزايدة في البحر الأحمر لم تمكن البرتغاليين من السيطرة على الموقف في هذا البحر[٢٢] ومن هنا لابد أن نذكر التحالف بين الصفويين الفرس والبرتغاليين ضد العثمانيين والعرب والموالين لهم من المسلمين وهذا ما أكده وكتبه (ألفونسو دي البوكيرك) إلى شاه فارس في ٩١٥هـ/١٥٠٩م قوله : "إنني أقدر لك احترامك للمسيحيين في بلادك وأعرض عليك الأسطول والجند والأسلحة لاستخدامها ضد قلاع الترك وإذا أردت أن تنتصر على بلاد العرب أو نهاجم (مكة) فستجدني بجانبك في البحر الأحمر إما في (جدة) أو في (عدن) أو في (البحرين) أو (القطيف) أو (البصرة) وسيجدني الشاه بجانبه على امتداد الساحل الفارسي "وسأنفذ له مايريد"[٢٣]. وفي يناير ١٥١٤م/٩٢٠هـ أرسل (البوكيرك) ابن عمه (بيرو) إلى جزيرة البحرين المشهورة بثروتها وقد زوده بأربع سفن فوصل إلى (رأس كاديفو) فأسر سفينتين فيهما حجاج مسلمين بينما اتجهت خمسون سفينة فلجأت إلى ميناء هرمز[٢٤] .

■ وكتب (تشارلز بلجريف) يقول : حين احتل البرتغاليون مسقط بعد قتال عنيف سقط فيه الكثير من سكان المدن الساحلية في عمان ورفضت مسقط الاستسلام فقصفتها مدفعية البحرية البرتغالية وأسرت كثيراً من المدافعين عن بلادهم وتعرضوا لمعاملة قاسية سواء كانوا رجالاً أم نساءً أو أطفالاً فقطع البرتغاليون أنوفهم وآذانهم ونهبوا المدينة بالكامل ثم أحرقوها مع السفن الراسية في مينائها ومن ثم تقدم الأسطول على الشاطئ وتعاملوا مع الناس فيها بنفس القساوة (٢٥) وحدثت المقاومة من الخليج فقد حدثتنا الوثائق العثمانية في عام ٩٢٨هـ/١٥٢٢م أن (توران شاه) حاكم هرمز قام بتنسيق المقاومة مع البحرين، ومسقط، وقريات، وصحار ضد البرتغاليين، وفي ليلة واحدة قامت جميع هذه المناطق بترتيب من توران شاه وعلى حين غرة بالهجوم على البرتغاليين براً وبحراً وحاصروا (دوم جرسيا كوتينهو) قائد قلعة هرمز البرتغالي ولكن لم يفلح الحصار . أما في البحرين فقد هاجم الأهالي القلعة وقبضوا على قائدها البرتغالي وشنقوه إلا أن وصول المدد للبرتغاليين أعاد السيطرة على الموقف(٢٦). هكذا أدان التاريخ البرتغاليين حين كتب المؤرخون ما قاموا به من قتل وحرق وتدمير ليقيموا لهم امبراطورية استعمارية صليبية وقد استعرضنا طرفاً مما دوّنه معاصرون من البرتغاليين أنفسهم ومن أمم أخرى عن تلك الأحداث البشعة ضد العرب خاصة والمسلمين عامة من المغرب الأقصى إلى الخليج العربي وموانئ الهند وأفريقية ولكن جهاد المسلمين البحري ضد الغزاة البرتغاليين أدى إلى اندحار البرتغاليين من الخليج العربي والهند ومن المغرب إلى حيث لا رجعة .

د.علي أباحسين / البحرين



٥٩

THE

COMMENTARIES

OF THE GREAT

AFÓNSO DALBOQUERQUE,

SECOND VICEROY OF INDIA.

TRANSLATED FROM THE

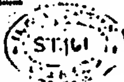
PORTUGUESE EDITION OF 1774,

With Notes and an Introduction,

BY

WALTER DE GRAY BIRCH, F.R.S.L.

[illegible]



[illegible]

LONDON:

PRINTED FOR THE HAKLUYT SOCIETY.

[illegible]

face long, and fresh-coloured, his nose aquiline, his aspect agreeable, and made venerable by the white beard which reached down to his waist. He was perfectly intimate with the Latin tongue, and as discreet when he spoke as when he wrote. He was loved and feared, without his benevolence degenerating into partiality or his correction into rigour. He observed truth religiously, naturally abhorred lying, and executed justice promptly. In so many battles both by sea and land he had frequently been wounded, bearing witness with his blood, that he had ever sought the place where danger was more certain. He was profusely generous, giving to the Captains the spoils obtained in so many victories, whereof he never reserved the least part for himself, for his desire was more for glory than for wealth. He always adhered to the utmost fidelity with his domestic enemies, and only brought his political sagacity to bear upon strangers.

"There were two actions suggested by the magnanimity of his heart which he determined to perform. One was to divert the channel of the Nile to the Red Sea, and prevent it from running through Egypt, thereby to render the lands of the Grand Turk sterile; the other to carry away from Mecca the bones of the abominable Mafoma, that, these being reduced publicly to ashes, the votaries of so foul a sect might be confounded. His name will be eternally applauded by the voice of Fame, as it was in the thoughts of the greatest Monarchs, and by the pens of illustrious writers, for D. Fernando, King of Castile, praised him as an illustrious captain to Pedro Correa, the Ambassador of the King D. Manuel, and the Grand Turk to D. Alvaro de Sande, Captain of the Emperor Charles V.

"Of the authors who have mentioned him the first is Maffei,[1] towards the end of the fifth book of his History of

[1] Johannes Petrus Maffei: *Historiæ Indicæ, cum Ignatii Loyolæ vita*, folio, Colon. Agrip., 1589 and 1593.

g

مذكرات الفونسو د. البوكيرك

الهوامش



١ – الطريحي : ص ٢٠٥ .

٢ – التازي : د. عبد الهادي . التاريخ الدبلوماسي للمغرب ص ٢٦ .

٣ – المليباري : أحمد زين الدين المعبري، تحقيق محمد سعيد الطريحي ص ١٩ وص ٢١٧ ط ١ بيروت ١٩٨٥م .

٤ – المعبري ص ٢١٨ .

٥ – ن.م.س. ص١٥٨ و١٦٣ .

٦ – الطريحي ص ١٧٠ .

٧ – ك.م. بانيكار : السفير الهندي في كتابه آسيا والسيطرة الغربية . انظر الطريحي، تحفة المجاهدين ص ١٧٣ و١٧٤ .

٨ – تعليقات البوكيرك الفونسو . المقدمة ص ١٩ و٤١ و١١٨ و١١٩ (بالإنجليزية) .

٩ – ن.م.س. ص ١٧٠ و١٧١ .

١٠ – ن.م.س. ص٢٦ .

١١ – المليباري ص ٢٢ .

١٢ – ن.م.س. ص ٧٠ و٧١ .

١٣ – المعبري، تحفة المجاهدين ص ٢١٤ و٢١٧ .

١٤ – آرون بتاشارجي . تاريخ الهند . ص ٢٢٩ و٢٣٠، طبع دلهي، ١٩٨٦م (الطبعة الإنجليزية) .

١٥ – د. صلاح العقاد . التيارات السياسية في الخليج العربي . ص ١٤، طبع مصر ١٩٧٤م .

١٦ – د. عبد العزيز الشناوي . الصراع بين المسلمين والبرتغاليين في شرقي الجزيرة العربية ص ٣ .

١٧ – الدكتور عبد الهادي التازي، ص ٤٧ و٤٨ .

١٨ – الوثيقة، العدد ٤ – ص ٦٢ بقلم الدكتور عبد الهادي التازي .

١٩ – جهانكير قائمقامي . مسألة هرمز والعلاقات بين إيران والبرتغال ص ٢٢٠ . طبع طهران ١٩٧٤م ووثيقة برتغالية رقم ٤٣ .

٢٠ – مقالة بقلم عبد الرزاق البصير في مجلة العربي بعددها ٢٧٧ الصادر في ديسمبر ١٩٨٦م عن قصة (الشراع الكبير) للأستاذ عبد الله محمد الطائي .

٢١ – المكتبة الوطنية بلندن . مخطوطات إيجرتون ١٦٤٦م ص ٨٨ – ٩١ . والطريحي ١٩ .

٢٢ – د. صالح أوزبران . الإمبراطورية العثمانية وطريق الهند . مجلة التاريخ . العدد ٣١ مارس ١٩٧٨م . طبع استنبول ص ٩٠ و١٣١ .

٢٣ – الوثيقة . العدد الأول . ص ١٢٠ يوليو ٨٢ .

٢٤ – لويس دي كاستنهيدا . تاريخ الاكتشافات والاحتلال البرتغالي للهند، الجزء ٣، ص ٨٠٢ و٨٠٣ (بالإنجليزية) .

٢٥ – تشارلز بلجريف . ساحل القرصنة ص ٦ و٧ طبع لندن ١٩٦٦م .

٢٦ – موغول محمد يعقوب . السياسة العثمانية في المحيط الهندي في عهد القانوني بين سنتي ١٥١٧ – ١٥٣٨م باللغة التركية، استنبول ١٩٧٤م . وانظر مجلة الوثيقة ١٥/ ص٦٨ يوليو ١٩٨٩م .